المحور الثاني:علاقة الحكام العثمانيون في الجزائر بالمرجعية الدينية المؤثرة

المحاضرة الخامسة:

شيوخ الزوايا والطرق الدينية: اليوسفية، القادرية، الطيبية، الرحمانية

1 _ التصوف مفهومه ومؤسساته

يعتبر التصوف والطرق الصوفيية ظاهرة سابقة للوجود العثماني في الجزائر بصفة خاصة والمغرب الإسلامي بصفة عامة، حيث انتشر التصوف في بلاد المغرب منذ أواخر القرن الخامس ومطلع السادس الهجريين(11-12م)، ومن رواده الأوائل أبي مدين شعيب(الأندلسي) وأبي الحسن الشاذلي(تونس).

أما الطريقة الصوفية، فيقصد بها المنهج التعبدي ويعني المسلك للوصول إلى الحقيقة المطلقة، عبر مقامات محددة يبلغها الفرد بمجاهدة النفس. يقول ابن خلدون معرفا بالتصوف:" هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة"(المقدمة،ج2،ط الجزائر،1984،ص584)، وهذا يعني أنه التصوف لم يكن معروفاً عند المسلمين على الأقل في القرون الثلاثة الأولى للإسلام.

عرف المقبلون على هذا الشكل من العبادة باسم الصوفية والمتصوفة. قال القشيري:

" لا يشهد لهذا الاسم اشتقاق من جهة العربية ولا قياس، والظاهر أنه لقب، ومن قال اشتقاقه من الصفّات، أو الصفّة، فبعيد من جهة القياس اللّغوي،قال: وكذلك من الصوف لأنهم لم يختصّوا بلبسه".(المقدمة،ج1،ص584)

ومن أهم مؤسسات الطريقة الصوفية في بلاد المغرب " الزاوية" وهي المكان الذي يتخذه العُّباد والصلاّح ملجأ لهم، وله عدة وظائف، كتحفيظ القرآن الكريم، تعليم مبادئ اللغة

العربية، إيواء طلبة العلم وابن السبيل، وفي الغالب لمّا يتوفى مؤسسها يدفن فيها، وتقام عليه قبة، ويتخذ قبره مزاراً ومحل تقديس من طرف العامة وأتباعه.

ومن أبرز الطرق الصوفية التي وجدها العثمانيون في الجزائر: الطريقة القادرية، الطريقة الشاذلية، هذه الأخيرة التي تفرعت عنها عدة طرق صوفية.

2 _ أثر التصوف في الحياة الاجتماعية والفكرية التركية

إن أبرز مميزات المنظومة الفكرية والسياسية عند الأتراك هو ذلك الأثر العميق للتصوف فيها، ومن أشهر متصوفة الأتراك " الحاج بكداش"(ق7هـ/13م)، وإليه تنتسب الطريقة " البكداشية"، التي بلغت أوج انتشارها في القرن السادس عشر، وهذا ما يوافق فترة انضمام الجزائر للدولة العثمانية.

وتذهب بعض الروايات إلى أنّ الحاج بكداش هو من سمى الإنكشارية بهذا للقب، ومنذ القرن 10هـ/16م، كان البكداشية هم من يسيطر ويوجه الإنكشارية على الأقل من الناحية الروحية.

كما انتشرت في الدولة العثمانية الطريقة " النقشبندية"، ومؤسسها محمد بهاء الدين البخاري، الشهير بنقشبند(ق8هـ/14م)، كما وجدت بين الأتراك الطريقة القادرية، نسبة إلى عبد القادر الجيلاني(ق6هـ/12م).

3_ الطرق الصوفية في الجزائر

تنتسب الطريقة القادرية إلى عبد القادر الجيلاني(ق5هـ) النيسابوري، البغدادي، وهي من أقدم الطرق الصوفية في العالم الإسلامي، ومن أبرز أقطابها في الجزائر أبي مدين شعيب.

يعود تأسيسها إلى النصف الأول من القرن 7هـ/13م بمراكش، انتشرت بالجزائر، فكان من روادها عبد الرحمان الثعالبي، أحمد بن يوسف الملياني وغيرهم كثير.

تنتسب الشاذلية " لأبي الحسن الشاذلي عبد السلام بن مشيش، الذي أخذ عن أبي مدين شعيب، تفرعت عن الطريقة الشاذلية عدة طرق صوفية منها: الجازولية 1464، اليوسفية أو الراشدية 1525، الشيخية نسبة إلى الشيخ عبد القادر بن محمد بن بوسماحة ق16م، الحنصلية 1703، الدرقاوية و أبرز مشايخها، مولاي العربي أحمد الدرقاوي ولد سنة 1739م، ثم التيجانية ومؤسسها، الشيح أحمد التيجاني(ت 1815م).

أمّا عن خريطة توزيع نفوذ هذه الطرق الصوفية فيذكر أبو القاسم سعد الله، أنّ الغرب الجزائري كان منطقة نفوذ للطريقة القادرية والشاذلية، التيجانية، الطيبية،الدرقاوية والزيانية، أما في الجنوب الغربي فقد انتشرت الطريقة الشيخية والكرزازية، في الشرق الجزائري والوسط انتشرت الطريقة الرحمانية،الحنصالية،الشابية وحتى الشاذلية.